جامعة الإسكندرية
ALEXANDRIA
UNIVERSITY

كلية الآداب
قسم الفلسفة
شعبة الفلسفة وتاريخها

"الهيرمينوطيقا... سيرة مصطلح"

"Hermeneutics...A History of the Term"

كريمة عبد العاطي عبد الرواف عبد القادر

مدرس مساعد بقسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الملخص

" ليست هناك حقائق . هناك فقط .. تأويلات ."

فريدريش نيتشة

لما كان الإنسان عدو ما يجهل و يبحث دائماً عن معنى الأشياء ويؤولها، من هنا جاء الاهتمام بموضوع البحث وهو "الهيرمينوطيقا"، الهيرمينوطيقا أو "نظرية التأويل" هى المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم وبخاصة فيما يتعلق بتأويل النصوص، وهى أيضاً الطرق الأساسية التي ندرك ونفكر ونفهم بها العالم ، كما أن لها جذوراً فلسفية يمكننا أن نسميها "الإبستمولوجيا" تتعلق بكيفية المعرفة وكيفية التفكير في مشروعية ادعاءاتنا بمعرفة الحقيقة .

يُعتبر التفسير هو أحد العناصر الأساسية الملازمة لتكوين نظرية هيرمينوطيقية متكاملة.

مر مصطلح الهيرمينوطيقا في تطوره بعدة مراحل، وهذا ما سنتناوله.

"**There are no facts, Only Interpretations.**"

Friedrich Nietzsche

When Human an enemy for what he ignores, and always looks for the meaning of things and interprets it, From this point we should be interested in Searching the term of "Hermeneutics". Hermeneutics or "Interpretation Theory" is the Subject of study the understanding processes, especially what it relates the Interpretation of texts, and it is also the basic ways which we realize, think and understand the world, it has Philosophical roots which we can name it Epistemology, relates how think in Legitimacy Claim by knowing Truth. Interpretation is considered one of the basic elements which relate to form the complete hermeneutical theory. Hermeneutics term passes in its development by many stages, we will mention.

جاءت تساؤلات البحث على النحو التالي: ما الهيرمينوطيقا؟، وما أصلها الإشتقاقي ومعناها الإصطلاحي؟، وكيف تطور مصطلح الهيرمينوطيقا عبر التاريخ الفلسفي، وذلك من خلال نماذج ممثلة من تاريخ الفكر الفلسفي؟

أولاً :تعريف الهيرمينوطيقا:

رأى نيتشة **Nietzsche** " ١٨٤٤– ١٩٠٠" " أن تجربة الإنسان العميقة لا تنتهي أبداً".[١]، وبالمثل فإن المحادثات الجيدة لا نهاية لها، فمجال المحادثات مفتوح، ولكن يجب علينا أن نلاحظ أنه ليس كل ما يقال يمكن أن يكون له معنى، وليس كل ما له معنى يمكن أن يقال.[٢]، شاع استخدام مصطلح الهيرمينوطيقا في الثقافة الغربية في مقابل مصطلح التأويل في الثقافة العربية، ولقد اعتاد بعض الباحثين العرب على استخدام كلمة الهيرمينوطيقا في أصلها اللاتيني عند ترجمتها إلى اللغة العربية، في حين أن البعض الآخر فضل ترجمتها إلى مصطلح التأويلية، إلا أن هناك فارق بين التأويل والهيرمينوطيقا.[٣]

١- الأصل الإشتقاقي لمصطلح الهيرمينوطيقا:

ترجع جذور مصطلح الهيرمينوطيقا **Hermeneutics** إلى الفعل اليوناني **Hermeneuein** بمعنى التعبير **Express**، والشرح **Explain**، والترجمة **Translation**، والتأويل **Interpret** ومنه الاسم هيرمينيا **Hermeneia** بمعنى التفسير والتأويل **Interpretation**، وفي أغلب الأحيان يكون تأويل رسالة مقدسة.[٤]،تشير الكلمة اليونانية **Hermeios**إلى كاهنة معبد دلفي، ويشير الفعل **Hermenuein** والاسم **Hermeneia** إلى الإله المجنح هرمس **Hermes**

---

(1) **Nicholas Davey**: **Unquiet Understanding Gadamer's Philosophical Hermeneatics**, **Suny Series in Contemporary Continental Philosophy**, **Dennis**. **J**. **Schmidt**, **editor**, **State University of New Yourk press**, **U**.**S**.**A**, **2006**,**P1**.

(2) **Ibid**: **P1.**

(3) لزهر عقيبي: جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكو، ط١، منشورات الاختلاف، ومنشورات ضفاف للطباعة والنشر، الجزائر ولبنان، ٢٠١٢، ص ١٨، ١٩.

(4) **Michael Inwood**: **Routledge Encyclopedia of Philosophy**, **Art** " **Hermeneutics** ", **Genral Editor**, **Edward Craig**, **first published by Routledge**, **London and New York**, **1998**, **P 385**.

رسول الآلهه عند اليونان، ويبدو أن الكلمة قد اشتقت من اسمه أو العكس هو الصحيح.[١] ، كما اطلق أفلاطون " ٤٢٧- ٣٤٧ق.م " على الشعراء اسم Hermenes أي رسل ومترجمين الإله، ولقد نسب الفلاسفة مصطلح هيرمينوطيقا إلى هرمس مجازاً.[٢]

٢- الهيرمينوطيقا إصطلاحاً:

يُعد مصطلح الهيرمينوطيقا مصطلح تقني يفيد في التعبير عن فهمنا لطبيعة النصوص وكيفية تفسيرنا واستعمالنا لها، وبخاصة فيما يتعلق بالكتاب المقدس، وكيفية قراءاتنا وفهمنا له.[٣]، لقد ظهرت كلمة هيرمينوطيقا" فن التأويل " لأول مرة في كتاب لـ " دانهارر J.C.Danhauer" عام ١٦٥٤ بعنوان: التفسير المقدس أو منهج شرح النصوص المقدسة " Hermeneutica Sacra Sive Methodus Exponendarum Sacrarum Literarum".[4]

– عند أرسطو: نجد أن أرسطو لديه كتاب بعنوان "Peri Hermeneia" أي " عن الهيرمينوطيقا "، وموضوعه منطق القضايا والبنية النحوية التي تسمح بالربط بين الموضوع والمحمول من أجل الكشف عن خصائص الأشياء.[٥]

---

(1) صفاء عبد السلام جعفر: هيرمينوطيقا الأصل في العمل الفني دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة، دار كلمة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت،ص ١٥.

(2) Michael Inwood: Routledge Encyclopedia of Philosophy, Op.Cit, P 385.

(3) دايفيد جاسبر: مقدمة في الهيرمينوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، بيروت والجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٦.

(4)Michael Inwood: Routledge Encyclopedia of Philosophy, Op.Cit, P 385.

(5) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مادة " الهيرمينوطيقا "، دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١،ص ٦٦٥.

– في عصر النهضة والإصلاح الديني: أصبحت الهيرمينوطيقا علماً لمواجهة السلطة الدينية التي تزعم أن لها وحدها الحق في فهم النصوص المقدسة، ولذا تبنى المصلحون البروتستانت مبدأ الكفاية الذاتية للنص المقدس، وضع هذا المبدأ " ماثياس فلاسيوس إيليركوس "Mathias Flacius Ilyricus في كتابه عام ١٥٦٧" Clavis Scripturae"[١]

– أما عن فلاسفة التنوير: فقد حصروا الهيرمينوطيقا في مجال المنطق، وحاولوا الكشف عن مبادئها العامة التي يمكن تطبيقها في جميع مجالات المعرفة.

– نجد "سبينوزا: في كتاب" رسالة في اللآهوت والسياسة" عام ١٦٧٠ في الفصل السابع، يؤكد أن المعيار المستخدم لتأويل الكتاب المقدس هو العقل، ذلك المعيار يمكن ان يكون أساس عام لكل التأويلات الأخرى، ووفقاً لاسبينوزا أصبح تأويل الكتاب المقدس نقداً له – أي الكتاب المقدس– في الوقت نفسه.[٢]

– أما في القرنين السابع عشر والثامن عشر: نجد أن مفهوم الهيرمينوطيقا قد ارتبط بفن الخطابة القديم وبعلم الدلالة أو الدلاليات، بحيث نجد أن " فلاسيوس Flacius" قد استوحى بعض مبادئ الهيرمينوطيقا التى أسسها في سياق البروتستانتية من فن الخطابة، بينما نجد " ماير Meier" وتحت تأثير سطوة الرياضيات على العلم الحديث، حاول أن يطور منطقاً خاصاً بفن تأويل العلامات والرموز في إطار علم الدلالة العام، بناءً على ذلك اتسع مفهوم الهيرمينوطيقا ليشمل كل أفعال الخطاب ، بما فيه الخطاب الفلسفي أو الدبي أو العلمي.[٣]، يمكن تعريف الهيرمينوطيقا على أنها فن فهم خطاب النص، عرفها شلايرماخر Freidrich D.E Schleiermacher ١٧٦٨– ١٨٣٤"في بداية

---

(1) مراد وهبه: مرجع سابق، ص ٦٦٥.

(2) Michael Inwood: Routledge Encyclopedia of Philosophy, Op.Cit, P 385.

(3) لزهر عقيبي: مرجع سابق، ص٢١.

القرن التاسع عشر على أنها: " الطريقة العامة والمستقلة للتأويل الذي يسعى إلى توحيد وتنظيم سلسلة من الإجراءات أو الإدعاءات أو العمليات المتخصصة في (على سبيل المثال الفلسفة الكلاسيكية، والتفسير اللآهوتي، والفلسفة) ".[1]، منذ ذلك الحين خضعت الميثودولوجيا لذلك التعريف على طول التاريخ المستقبل **Reception History** المؤدي إلى ما بعد الحداثة ؛ وبخاصة من خلال كتابات الفلاسفة الألمان مثل دلتاي **Dilthey**، وهايدجر**Heidegger** ، وجادامير **Gadamer** ، والفلاسفة الفرنسيين مثل بول ريكور **Paul Ricooer** ، وجاك ديريدا **Jacques Derrida** وغيرهم.[2]

ويعرفها ميشيل فوكو " " على أنها مجموع المعارف والتقنيات التي تنطق الرموز وتكشف عن معناها.[3]

ثانياً: مراحل تطور مصطلح الهيرمينوطيقا من خلال نماذج ممثلة من تاريخ الفكر الفلسفي:

مر مصطلح الهيرمينوطيقا في تاريخه بعدة مراحل، تتسع بمفهومه حيناً وتختزله حيناً وتزيده تركيباً وتعقيداً أحياناً كثيرة، ولذا فمصطلح الهيرمينوطيقا لا ينفصل عن تاريخه، ولذا ستتناول الباحثة – باختصار– تاريخ المصطلح منذ البداية وحتى العصر الحديث والمعاصر من خلال نماذج ممثلة من تاريخ الفكر الفلسسفي.

---

(1) **Greegg Lambert**: **Encyclopedia Of Postmodernism**, **Art** " **Hermeneutics** ", **General Editor**: **Victor E. Taylor and Charles E. Winquist**, **first published by Routledge**, **London and New York**, **2001**, **P174**.

(2) **Ibid**: **P174**.

(3) الهام بن حواس: إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية هانز جورج غادامير نموذجاً، رسالة ماجستير، إشراف: منير بهادي، كلية العلوم الإجتماعية قسم الفلسفة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٣/ ٢٠١٤، ص٣٩.

١- الهيرمينوطيقا في العصور الوسطى:

تدل الهيرمينوطيقا في علم اللآهوت " الثيولوجيا " على فن تأويل الكتاب بدقة، وهذا مشروع قديم أنشأة آباء الكنيسة بوعي منهجي، وبخاصة عند القديس أوغسطين.[١] ، فلقد أتخذ النشاط الهيرمينوطيقي في العصور الوسطى أبعاداً جديدة، وذلك وفقاً لإختلاف طبيعة النصين المقدسين، فمن خلال النص المقدس المثبت الموحى به أصبح المفسرون مهتمون بوضع المعايير والقواعد التي من خلالها يتم فهم النص المقدس وتفسيره، فكانت هناك ثلاثة محاور يدور عليها التفسير وهى: الالتزام بحقيقة النص، ومغزاه الأخلاقي، ودلالته الروحية. [٢]، وإذا نظرنا إلى كنيسة العصور الوسطى في الغرب، فنجدها كانت تتبع هيرمينوطيقا أوغسطين والآباء المؤسسين، فأوغسطين يعتبر أهم هيرمينوطيقي في الكنيسة المسيحية الأولى، طور نظاماً معقداً من القراءة الرمزية، على سبيل المثال: القراءة التي عرضها في الفصل الثامن من كتاب " الإعترافات "، حيث قدم تفسيراً رمزياً مفصلاً للفصل الاول من سفر التكوين، " وفصل الله بين النور والظلمة " (التكوين: ١: ٤)، فنجد أن الظلمة عنده ترمز إلى الروح التي لا تزال بدون نور الله، في حين أن النباتات وثمر الأشجار التي مُنحت طعاماً للبشر " لكم يكون طعاماً " (التكوين ١: ٢٩)، فترمز إلى الحسنات التي تنعش وتنمي الروح ، وبالإضافة إلى ذلك طور قراءة متعددة للنص الديني، فال يوجد نص منحصر في معنى واحد، وكانت تلك محاولة منه لحل الجدال الهيرمينوطيقي القائم بين "مدرستي الإسكندرية وأنطاكيية"، حيث طور نظرية في التفسير، تشمل التفسير الحرفي والرمزي معاً في كتابه "العقيدة المسيحية **Doctrina Christiana** ".[٣]، فنجده في هذا الكتاب قد استعمل التفكير المنهجي في إيجاد الحلول لمسائل واجهته في عصره ،

---

(1) هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزين، ط٢، الناشرون: منشورات الإختلاف الجزائر، والمركز الثقافي العربي المغرب، والدار العربية للعلوم لبنان،٢٠٠٦، ص ٦٣.

(2) منى طلبة: مرجع سابق، ص ١٣٢، ١٣٣.

(3) منى طلبة: مرجع سابق، ص ٦٣، ٦٤.

فيبين في العقيدة المسيحية كيف أن الروح أو (الفكر)، يسمو فوق المعنى الحرفي والأخلاقي ليبلغ المعنى الروحي، وهكذا فقد حل من وجهة نظر توحيدية المعضلة العقائدية، بتخليصه لتراث الهيرمينوطيقا القديم.[١]، تُعد " نظرية الإشارات أو السيميائيات Semiotics" من أهم إسهامات أوغسطين في تطوير الهيرمينوطيقا، والتي قام بشرحها في كتابه " العقيدة المسيحية "، والتي تنص على أنه لابد لنا في قراءة أي نص ديني أن نلتزم بتحليل حذر وشامل للغة النص وبنيته النحوية، من أجل منع أية استنتاجات غريبة لا أساس لها، فالكلمات عبارة عن علامات تشير إلى مدلول، ولذا يجب ألا يختلط مع الشيء الذي يشير إليه، تتمثل أهمية تلك النظرية في أنها من الأفكار الحديثة حول طبيعة اللغة، وفيما يتعلق بأهميتها في الإنجيل فإنها أدت بأوغسطين إلى اعتبار النصوص الدينية نصوصاً إلهية، فالإنجيل يُستعمل دليلاً إلى الحياة المسيحية، دون اعتباره ضرورياً بذاته بحكم وجود طرق خلاص أخرى غيره، فيرى أن الإنسان الذي تستند حياته إلى الإيمان والأمل والحب لا يحتاج إلى النص الديني إلا ليعلم الآخرين.[٢]

٢- مشروع شلايرماخر الهيرمينوطيقي:

تقوم الهيرمينوطيقا عند شلايرماخر على عنصران أساسيان هما: التقوى والذهنية الفكرية الجادة، وإذا نظرنا إلى شلايرماخر فنجد أنه لم ينشر كتاباً رسمياً في الهيرمينوطيقا، وإنما الخطوط العريضة الأصلية لمشروعه في الهيرمينوطيقا قد تضمنت عنده في العديد من الملاحظات والمحاضرات والمخطوطات المكتوبة بخط اليد ، الممتدة في الفترة ما بين "١٨٠٥– ١٨٣٣"، وفيها عرض لأول مرة لمشروعه عن المنهج العام للهيرمينوطيقا.[٣]

أفتتح شلايرماخر محاضراته في الهيرمينوطيقا بعبارة إفتتاحية: " الهيرمينوطيقا بوصفها فن الفهم لا وجود لها كمبحث عام، وإنما هناك بدلاً من ذلك أشكالاً عديدة وأفرع

---

(1) هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، مصدر سابق، ص ٦٣.

(2) دايفيد جاسبر: مرجع سابق، ص ٦٥.

(3) Greegg Lambert: Encyclopedia Of Postmodernism, Op.Cit, P174.

هيرمينوطيقية منفصلة ومتعددة."[1]، وأكد "أن هناك صعوبات كثيرة لوضع هيرمينوطيقا عامة، اهمها: أنه لبعض الوقت تم التعامل – على نحو لا يمكن إنكاره – مع الهيرمينوطيقا على أنها ملحقة بالمنطق **Appedix To Logic**، ولكن عندما تم التعامل معها على هذا الأساس تخلت عن المنطق...". [2] أيضاً الفلاسفة أنفسهم ليس لديهم رغبة كفلاسفة لإنشاء وإثبات تلك النظرية – هيرمينوطيقا عامة – ؛ لأن أي فيلسوف يريد أن يفهم، ولكن نفسه تعتقد ان ما يحاول فهمه مفهوم بالضرورة.[3]، أضف إلى ذلك أن التفسير أعتمد على الفيلولوجيا " علم فقه اللغة"، ولذا تم معالجة الهيرمينوطيقا على أنها مجموعة من الملاحظات. [4]

هنا يعلن شلايرماخر عن هدفه في جملة واحدة وهو تأسيس هيرمينوطيقا عامة بوصفها فن الفهم، ويؤكد أن هذا الفن واحد من حيث ماهيته، سواء كان النص نصاً تشريعياً، أو نصاً دينياً، أو عملاً أدبياً، ورغم اختلاف مجالات تلك النصوص، إلا أن وراء تلك الاختلافات تكمن وحدة أصيلة، وهى أن جميع هذه النصوص تُمثل جسد لغوي، ولذا فلا بد من استخدام النحو لكشف معنى العبارة، فالفكرة العامة تتفاعل مع البنية اللغوية لتكون المعنى، وإذا أمكن صياغة مبادئ للفهم اللغوي فإن هذه المبادئ تُشكل هيرمينوطيقا عامة، ويمكن لهذه الهيرمينوطيقا العامة أن تكون الأساس والجوهر لكل هيرمينوطيقا خاصة.[5]، الفهم عند شلايرماخرهو عملية إعادة معايشة للعمليات الذهنية لمؤلف النص، والفهم

---

(1) **Friedrich Schleiermacher**: **Hermeneutics and Criticism and other Writings**, **Translated and Edited by**: **Andrew Bowie**, **Cambridge University Press**, **United Kingdom**, **1998**, **P5**.

(2) **Ibid**: **P6**.

(3) **Ibid**: **P6**.

(4) **Friedrich Schleiermacher**: **Hermeneutics and Criticism and other Writings**, **Op**.**Cit**, **P7**.

(5) عادل مصطفى: فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٩٧، ٩٨.

عكس التأليف؛ لأن عملية الفهم تبدأ من تعبير ثابت مكتمل وتعود إلى الحياة الذهنية التي نبع منها التعبير، فالمؤلف أو المتحدث يبني جملة وعلى المستمع أن ينفذ إلى داخل بناء الجملة وبناء الفكرة، ومن ثم يتكون التأويل من لحظتين متفاعلتين: اللحظة اللغوية واللحظة السيكولوجية.[١]، وذهب شلايرماخر إلى أنه في فعل التأويل فإن المؤول يتناول اللغة من منظورين رئسيين هما: الجانب أو المنظور التقني أو النحوي **Technical – Grammatical**، والمنظور النفسي **Psychological**، وذلك في تحديد معنى عمل أو نص معين، فهو لا يصل إلى الحل إلا بطريقة تشبه إلى حد بعيد التخمين **Guessing**. [٢] ، يقول شلايرماخر: " الفهم هو الوجود – في – واحد – أو آخر– من تلك اللحظتين (النحوي والنفسي) ." [٣]،لذلك " يضع شلايرماخر التأويل النفسي جنباً إلى جنب مع التاويل النحوي وتلك هى مساهمته الأميز." [٤]، " كلايهما النحوي والنفسي متساويان تماماً، ومن الخطأ القول بأن التأويل اللغوي هو الأدنى، والتأويل النفسي هو الأعلى.".[٥]

يتبين لنا أن مشروع شلايرماخر في الهيرمينوطيقا العامة كان مشروع هام، تتمثل أهميته في: ان أسهام شلايرماخر في الهيرمينوطيقا نقطة تحول في تاريخ الهيرمينوطيقا بصفة عامة – بصرف النظر عن تلك الشائبة من النزعة السيكولوجية في فكره المتأخر–؛ فلم يعد يُنظر

---

(1) عادل مصطفى: مرجع سابق، ص ٩٩.

(2) **Greegg Lambert: Encyclopedia Of Postmodernism, Op.Cit, P 174**

(3) **Friedrich Schleiermacher: Hermeneutics and Criticism and other Writings, Op.Cit, P 9.**

(4) هانز جورج غادامير: الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة: حسن ناظم و على حاكم صالح، راجعة عن الألمانية: جورج كتورة، ط١، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ٢٠٠٧، ص ٢٧٣.

(5) **Friedrich Schleiermacher: Hermeneutics and Criticism and other Writings, Op.Cit, P 10.**

إلى الهيرمينوطيقا على أنها مادة تخصصية تتبع اللاهوت او الأدب أو القانون، بل أصبحت هى فن الفهم، فهم أى قول لغوي على الإطلاق. [١]

أُخذ على فكر شلايرماخر تسرب النزعة السيكولوجية إليه، فلقد شغله غموض " الآخر" عن غموض " التاريخ" – على حد تعبير جادامير – ، وشغلته سيكولوجية الحوار عن تاريخية التأويل وعن الأهمية المركزية للغة في التأويل، لقد جرفته تلك السيكولوجية الحوارية، أضف إلى ذلك تسويته المغلوطة بين عملية " الفهم " وعملية " التقمص " و " إعادة بناء" ذهن المؤلف، أدى به ذلك إلى المزالق الفكرية التي وقع فيها في المراحل المتأخرة من تطوره الفكري، رغم هذا إلا أن شلايرماخر يُعد بحث أباً للتأويلية الحديثة، ويدين له بالفضل كل مفكري التأويل في القرن التاسع عشر، وحملت بصمته جميع النظريات التأويلية العامة في ذلك العصر وعلى رأسها جميعاً نظرية " دلتاي".[٢]

٣- تطور الهيرمينوطيقا عند وليم دلتاى Delthey:

إذا إنتقلنا للحديث عن دلتاى نجده قد استخدم وصف شلايرماخر " الهيرمينوطيقا العامة " في فلسفته " فلسفة الحياة "، وتوسيع المنظور النفسي للغة مع فهم تاريخي للفنان بإعتباره أعلى أو أكثر روحانية من الفردية. [٣] ، لقد إهتم دلتاي بتطوير مفهوم الهيرمينوطيقا وأصلها في كتابه " عالم الروح "، كما تأثر بشلايرماخر، فهو – شلايرماخر – من وجهة نظر دلتاي استطاع أن يضع الأساس لهيرمينوطيقا علمية؛ لأنه أقامها على اساس القواعد العامة المنظمة للتأويل، فلقد قسم شلايرماخر –كما ذكرت من قبل – التأويل إلى لغوي ونفسي، ورأى دلتاي أن الهدف النهائي للهيرمينوطيقا –كما رأى شلايرماخر من قبل – هو محاولة فهم الكاتب أكثر مما فهم نفسه، إلا أن دلتاي سرعان ما تخلص من هذا النزوع الذاتي، وأعتبر أن الهيرمينوطيقا بمثابة تفسير أعمال مكتوبة، ومن ثم أخذت الهيرمينوطيقا عنده

---

(1) عادل مصطفى: مرجع سابق، ص١١١.

(2) عادل مصطفى: مرجع سابق، ص ١١١، ١١٢.

(3) Greegg Lambert: Encyclopedia Of Postmodernism, Op.Cit, P 172.

مفهوم أوسع، وهو فهم كل تعبيرات الحياة الفردية المعيشة ورموزها، والحياة من وجهة نظره تؤول نفسها، فهى تمثل بنية هيرمينوطيقية، فمثلما يمكن أن نستدل على الخجل من إحمرار الوجة، يمكن الدلالة على التاريخ من خلال آثاره المكتوبة، و بهذا إنتقلت هيرمينوطيقا دلتاي من دراسة النصوص التقليدية في الدين والأدب والفلسفة إلى دراسة تعبيرات الواقع التاريخي خاصة والعلوم الإنسانية بصفة عامة، حيث يكتسب الفهم والتأويل سمات إبستمولوجية جديدة.(١)

كذلك استخدم دلتاي الهيرمينوطيقا للإجابة عن السؤال: كيف تختلف العلوم الإجتماعية أو الإنسانية عن العلوم الطبيعية؟، بينما نجد العلوم الطبيعية تشرح **Explain**، نجد العلوم الإنسانية تفهم **Understand**، ولكنها – أي العلوم الإنسانية – لا تفهم النصوص والكلام البسيط فقط، وإنما تفهم أي شيء له معنى، او أي تعبير عن حياة الإنسان كالإشارات، والأفعال الخاصة بحياة أي إنسان، والمؤسسات الإجتماعية، والأحداث الماضية.(٢)، بالإضافة إلى ذلك أن دلتاي قد أهتم بالنص التاريخي وبالفهم الهيرمينوطيقي المعاصر للحدث التاريخي الماضي، فعصر دلتاي هو عصر الفلسفة الوضعية والثقة بإنضباط ودقة المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية، فلقد عاب الوضعيون على العلوم الإنسانية إفتقادها للمنهج الدقيق الذي تتمتع به العلوم الطبيعية (٣)، بناءً على ذلك قام دلتاي بالتصدي لهجمات الوضعيين على العلوم الإنسانية، وذلك عن طريق تمييزه بين العوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، فالعلوم الطبيعية تهتم بالظواهر التي تُعطى للحواس، أي بالواقع الخارجي **Outer Reality**، في حين أن العلوم الإنسانية تهتم بالتجربة المباشرة **Direct experience** للواقع الداخلي **Inner Reality**(*).(١)، لذلك

---

(1) لزهر عقيبي: جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكو، مرجع سابق، ص ٢٢.

(2) **Michael Inwood**: **Routledge Encyclopedia of Philosophy**, **Op**.**Cit**, **386**.

(3) منى طلبة: مرجع سابق، ص ١٣٥.

(*) إن الإختلاف بين كلا النوعين من العلوم الطبيعية والإنسانية غالباً ما يُرى على أنه غير قابل للتجاوز، في حين أن الوعي يؤكد أن الفصل الصارم بين كلا الواقعين " الخارجي والداخلي" يُعد غير عملي إلى حد =

ميز دلتاي بين كلا العلوم من حيث الموضوع والغاية والإجراء، فمن حيث الموضوع نجد أن الطبيعة هى موضوع العلوم الطبيعية، وهى مادة خارجة عن الإنسان، في حين أن موضوع العلوم الإنسانية هو الإنسان، فهو الملاحظ وموضوع الملاحظة في الوقت نفسه، ومن حيث الغاية، نجد ان غاية العلوم الطبيعية هى السيطرة على الطبيعة، أما غاية العلوم الإنسانية فهم الإنسان، ولذا فالمنهج الهيرمينوطيقي هو أنسب المناهج للعلوم الإنسانية، أضف إلى ذلك أن العلوم الإنسانية تعتمد في تفسيرها للظواهر على إجراءات الفهم .[٢]، ما نلاحظه أن دلتاي إهتم بـ: كيفية معرفتنا وفهمنا لأي شيء – هو ما نسميه في الفلسفة بالإبستمولوجيا–، ووضع دلتاي الهيرمينوطيقا داخل سياق العلوم الإنسانية، وسعى إلى وضع أسس لهذه العلوم كي تكتسب مصداقية إلى جانب الصعود الكبير للعلوم الطبيعية، كما إهتم بالمنهجية وتحليل الطرق التي من خلالها يُفهم النص.[٣]، وفي عام ١٨٩٠ إعتبر دلتاي أن علم النفس أساس العلوم الإنسانية " الإجتماعية "، ومؤخراً حلت الهيرمينوطيقا محل علم النفس، او أنه استبدل بعلم النفس الهيرمينوطيقا، فما يميز العلوم الإجتماعية ليس النفس **Soul** أو العمليات النفسية الفردية التي يقوم بها الفرد ، وإنما الروح

=

كبير، فالحقيقة أو الواقع ليس من السهل فصله إلى داخلي وخارجي **Inner and Outer**، ونفس وجسد **Soul and Body**، ذات وموضوع**Subjective and Objective** ، عقل ومادة**mind and Matter**

(**CP**: **Lisa Madeline Smith**: **Natural Science and Philosophical Hermeneutics**: **An exploration of Understanding in the Thought of Werner Heisenberg and Hans Georg Gadamer**, **National Library of Canada**, **1997**, **P 1**.)

(**1**) **Ibid**: **P 1**.

(**2**) منى طلبة: مرجع سابق، ص ١٣٥.

(**3**) دايفيد جاسبر: مرجع سابق، ص ١٣٣.

Spirit " عالم الثقافة المشتركة".[1]، يتضح لنا أن هيرمينوطيقا دلتاي إتسمت بمزيد من التحديد، فهى تُنسب إلى مجال العوم الإنسانية وتعتمد على الفهم لا التفسير السببي، وفي عام ١٩٠٠ حدد دلتاي الهيرمينوطيقا بوصفها " فن تفسير الآثار المكتوبة "، أي أنها العملية التي بها نعرف الداخل من خلال العلامات التي تستقبلها حواسنا في الخارج، وبذلك ميز دلتاي بين: التفسير العّلي الذي لا يهتم بباطن الأشياء، وبين الفهم الذي يهتم بباطن الأشياء من خلال ظاهرها.[2]،وفي عام ١٩١٠ قدم مقال بعنوان " تطور الهيرمينوطيقا"، وبفضله أصبح لدينا هيرمينوطيقا كونية أصلية تتعلق بكل أشكال وتجارب الحياة الإنسانية، والمقولة الأساسية عنده هى " الحياة أو التجربة المعاشة "، فهى – على حد تعبيره – الشيء المشترك بيننا والذي ينسج كل النشاطات والتجارب الإنسانية.[3]، بالإضافة إلى ذلك ذهب إلى أننا نعبر عن فهمنا المشترك من خلال الإشارات والرموز والكلام والكتابة، والمفسر يفهم الكاتب والنص من خلال إعادة اختيار أو عيش التجربة على أساس التعاطف، فنحن نفهم أنفسنا والآخر من خلال نشاط قراءة جماعية – وليس تأمل منفرد– وهذا يتطلب منا فعل تخيلي بأن نحول الذات وننقلها إلى داخل ذهن وحياة الآخر، فالفهم عنده إعادة إكتشاف للأنا والآخر، وبإعتباره هيرمينوطيقي حقيق كان يبدأ بالفرد والخاص، ويراه داخل الكل الثقافي مركزاً على إتصالية Connectedness جميع الأشياء، إن فهم النص – من وجهة نظره – هو العودة إلى التجربة التي جلبت النص إلى عالم التحقق والفهم يعني الانتقال من الفردي الخاص إلى التجربة الكونية الواسعة.[4]

---

(1) Michael Inwood: Routledge Encyclopedia of Philosophy, Op.Cit, 386

(2) منى طلبة: مرجع سابق، ص ١٣٦.

(3) دايفيد جاسبر: مرجع سابق، ص ١٣٣.

(4) نفس المرجع: ص ١٣٤.

٤- مارتن هايدجر والهيرمينوطيقا:

يفضل هايدجر استخدام لفظ **Hermeneutics** على بدائلها الأخرى مثل **Interpretation**؛ لأن مشروع هايدجر ينطوي على محاولة لاستعادة فهم الوجود واسترداد الوعي به ومن هنا فالهيرمينوطيقا معنية بفك رموز الأقوال التي تنتمي إلى زمان ومكان ولغة أخرى، دون أن يفرض عليها الإنسان مقولاته **Categories**(*) هو أو تصنيفاته الذهنية، فهايدجر يريد للهيرمينوطيقا أن تكون " مزلزلة للعالم " أن تكون رسالة جليلة تزعزع أسس الفكر، فهو يريد تأويل يتخطى التصورات السائدة، تأويل يقوم بـ" تحويل الفكر"، ومن هنا فضل هايدجر لفظ **Hermeneutics** على **Interpretation**؛ لأنه يشير إلى تفسير نصوص قديمة من لغة أخرى، فهى تتصل بشيء مختلف ولكنه قابل للفهم. (١) ،إن تعريف ومفهوم الهيرمينوطيقا قد تطور من خلال هايدجر، فأصبحت الهيرمينوطيقا تميل إلى إخضاع أي إهتمام وتركيز على الفرد لصالح القواعد الأنطولوجية العامة، أي لصالح الوجود، أي حولت الإهتمام من الفرد إلى الوجود.(٢)، فقبل هايدجر كنا نعتبر سؤال الهيرمينوطيقا الأساسي: كيف نفهم النصوص؟، ولقد جاءت جميع أنواع

(*) المقولة هى المحمول وجمعها مقولات، وهى الأجناس العالية التي تحيط بجميع الموجودات، أو المحمولات الأساسية التي يمكن إسنادها إلى كل موضوع، وعددها عند أرسطو عشرة، وهى: الجوهر، والإضافة، و الكم، والكيف، والمان، والزمان، والوضع، والملك، والفعل، والإنفعال، والمقولات عند كانط هى التصورات الكلية الأساسية التي يتضمنها العقل المحض، وهى صور قبلية للمعرفة، تستنبط من طبيعة الحكم في مختلف صوره، وهى أربعة أجناس كبرى: الكم ، والكيف، والإضافة، والجهة، ولكل واحدة من تلك المقولات الأربعة ثلاثة اقسام ليكون عددا إثنا عشر، الكم: يشمل الوحدة والكثرة والإجمال، والكيف: يشمل الإيجاب والسلب والتحديد، والإضافة تشمل: العلاقة بين الجوهر والعرض، والعلاقة بين العلة والمعلول، والاشتراك أي التأثير المتبادل بين الفاعل والمنفعل، والجهة: تشمل: الإمكان والإمتناع والوجود واللاوجود والضرورة والجواز.(أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي،مادة " المقولة" ج٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢ ، ص ٤١٠، ٤١١.)

(1) عادل مصطفى: مرجع سابق، ص ٢٩، ٣٠، ٣١ بتصرف مني.

(2) **Greegg Lambert: Encyclopedia Of Postmodernism, Op.Cit, P 175.**

الهيرمينوطيقا للإجابة عن هذا السؤال، أما إذا نظرنا إلى هايدجر وجدناه يعود خطوة إلى ما وراء هذا السؤال، ليصبح سؤاله عن " الكينونه " " الوجود نفسه **Being**"، لذلك يذهب هايدجر إلى وراء السؤال عن كيفية الفهم إلى السؤال عن الوجود نفسه.[١]، نجد أن هايدجر قد إتجه في محاضراته عام ١٩٢٣ إلى **Hermeneutic of Facticity** واهتم بتفسير وجود الإنسان " الدازين **Dasein**"، وفي كتابه " الوجود والزمان **Being and Time** عام ١٩٢٧" تناول الهيرمينوطيقا بعدة طرق، فالهيرمينوطيقا تكشف عن الدازين.[٢]، ففي هذا الكتاب تحولت فينومينولوجيا هوسرل إلى أنطولوجيا ، فالفكرة الأساسية عنده هى أن فهم العالم يتوقف على فهم الإنسان أو الدازين، ومن هنا تحول السؤال عن الشروط التي تتيح للكائن العارف إمكانية فهم نص ما او التاريخ، إلى السؤال: عمن هو هذا الكائن الذي يتكون الوجود من فهمه؟، وبهذا المعنى تصبح الهيرمينوطيقا مجالاً من مجالات تحليل الكائن "الدازين" الذي يوجد ويفهم، الفهم هنا لم يعد درباً من دروب المعرفة، وإنما إسلوباً من أساليب الوجود، أي طريقة هذا الكائن الذي يوجد وهو يفهم.[٣] ،إن الدازين تفهم وتفسر ليس عن طريق الصدفة **Incidentally** أو بشكل متقطع **Sporadically**، وإنما تفهم بطريقة جوهرية وبإستمرار **Essentially**، إنها تفسر الموجودات – في – العالم، بالإضافة إلى ذلك تفسر الدازين ذاتها.[٤]،كذلك إنطلق هايدجر في مشروعه الهيرمينوطيقي من نقده للميتافيزيقا ومفهومها للذات التي تنظر إلى الإنسان بإعتباره محور الوجود والعامل الوحيد الفاعل في المعرفة، ومن ثم يصبح دور الوجود ثانوي يخضع للذاتية ويستجيب لمقولاتها، وفي كتابه الوجود والزمان عمل على تجاوز الذاتية الترانسندنتالية من أجل الوصول إلى موضوعية تتموقع خارج ثنائية الذات

---

(1) دايفيد جاسبر : مرجع سابق ، ص ١٤٦.

(2) **Michael Inwood**: **Routledge Encyclopedia of Philosophy**, **Op.Cit**, **P387**.

(3) الهام بن حواس: مرجع سابق، ص ٧٨، ٧٩.

(4) **Michael Inwood**: **Routledge Encyclopedia of Philosophy**, **Op.Cit**, **P387**.

والموضوع، وتتخذ من واقعية الوجود نقطة مرجعية نهائية، فالفهم عن هايدجر لم يعد مثال للمعرفة ولا مثال لمنهجية الفلسفة، وإنما هو الشكل الأصلي لإكتمال الدازين كوجود – في – العالم، فالفهم هو نمط وجود الدازين الذي ينطوي على معرفة وإمكان الوجود.[1]، ومن ثم فمفهوم الفهم ليس عملية معرفية أو منهجية تكون أساس للعلوم الإنسانية – كما عند دلتاي –، وإنما هو الخاصة الأصلية لوجود الحياة الإنسانية ذاتها، الفهم عند هايدجر مختلف عن التصورات السابقة؛ فهو قدرة المرء على إدراك ممكنات وجوده ضمن سياق العالم الحياتي الذي وجد فيه، فهو ليس موهبة أو قدرة معينة على الشعور بموقف شخص آخر، ولا القدرة على إدراك معنى أحد تعبيرات الحياة، وإنما هو شكل من أشكال الوجود – في – العالم، هو الأساس لكل تفسير، وهو مصاحب لوجود المرء وقائم في كل فعل من أفعال التأويل.[2]، إذاً الفهم أمر أساسي أنطولوجياً، وسابق على كل فعل من أفعال الوجود، ومن ثم أصبح الفهم عند هايدجر أنطولوجياً، وليس عملية معرفية منهجية.

بقى لنا أن نذكر أن هايدجر في كتاباته الأخيرة تبنى نغمة شعرية بل حتى اسطورية، وهذا معناه انه لم يكن مهتماً بالنصوص، بل عمق إهتمامه ليص إلى اللغة نفسها إلى حد أنه إقترح أن اللغة لها أصول إلهية بدلاً من كونها بشرية، وهو هنا لا يتحدث عن النص الديني، بل يشير إلى أن اللغة تعبر عن الوجود نفسه على نحو أوسع من حدود البشر، وهنا تصبح الهيرمينوطيقا او التفسير عبارة عن عملية تأملية وحتى شعرية في الاستمتاع ومنح الصوت لظهور الوجود اللغوي.[3]

(1) الهام بن حواس: مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٠.
(2) الهام بن حواس: مرجع سابق ص ٨١، ٨٢.
(3) دايفيد جاسبر: مرجع سابق، ١٤٧.

أهم نتائج البحث:

أهم خصائص منهج الهيرمينوطيقا

١– منهج الهيرمينوطيقا هو منهج يقوم على فن تفسير النصوص بصفة عامة والكلمة كرمز لها، و مادة بحثه هى التأمل الفلسفي، وفهم النصوص وتفسيرها عبر وسيطها اللغوي.

٢– منهج الهيرمينوطيقا هو منهج يقوم على إزدواج الفلسفة والنقد الأدبي الفني، بحيث نجد أن فهم النص الأدبي أو العمل الفني أو النص سواء ديني او تاريخي او غير ذلك يُعد محاولة لفهم تجربة الوجود التي تفصح عن نفسها من خلال اللغة أو من خلال الشكل الجمالي، ونجد أن ثبات الشكل الجمالي هى التي تجعل عملية الفهم ممكنة.

١- ٣– يُعتبر منهج غائي؛ يبحث عن المعنى في النص، إلا أن هذا المعنى الذي يبحث عنه الهيرمينوطيقي ليس معنى سطحي أو بسيط، وإنما معنى يمكننا أن نطلق عليه " القيمة" وذلك لإتصاله – أي المعنى– بماهية الإنسان، كما نجد ان تلك القيمة التي يبحث عنها الهيرمينوطيقي ليست معيارية وليست وراء النص، وإنما أمامه فهى قيم ذات طاقة حيوية مستمرة التجدد.

٤– المنهج الهيرمينوطيقي منهج تفسير فردي يتصف بـ " الموضوعية المثالية" أو " التعدد الميتافيزيقي" بحيث يجمع هذا التفسير بين ما هو تاريخي ولا تاريخي، بين الذات والآخر، بين المعنى الظاهر والخفي، فالموضوعية الهيرمينوطيقية تنفي إنفصال الذات عن الموضوع، وتفتح الأنا على الأنت عبر وسيط مشترر" اللغة"، كما أنها تنفي الثبات الموضوعي وترى أن الموضوعية حالة مستمرة من التغير في الزمان والمكان، وذلك لأنها تتيح تعدد التفسيرات.

٥– تتسم غائية المنهج الهيرمينوطيقي بسمتين: التفاؤل والتحرير؛ لأن الوجود الذي يبحث عنه الهيرمينوطيقي إنساني في جوهره، وهو يسعى إلى قيمة النص لا سلطة النص، كما يسعى إلى بناء مؤول مجتهد وعارف لحدوده.

٦- إن المنهج الهيرمينوطيقي أقرب المناهج النقدية إلى روح المناهج في العلوم الطبيعية ؛ فالبحث الهيرمينوطيقي يقوم على:

أ- التجريب، فكل نص هو تجربة جديدة تخضع للملاحظة والكشف.

ب- الحدس الهيرمينوطيقي ليس إنطباعاً وليس تعميماً، وإنما هو شعور مبدئي يعرف ذاته ويبنيها من خلال معرفة جزئيات النص وتفصيلاته، فهوشعور قلق يبحث عن مصداقية النص،حدس يتحول من التخممين إلى التصديق من خلال تجربة فهم النص، فمادة النص هى ما يختبرها الحدس.

جـ- إذا نظرنا إلى المنهج العلمي نجده يكشف عن المجهول ويستخدم التجربة ويمكن مراجعته، في حين أن التحليل الهيرمينوطيقي ليس تحلياً كافياً لأنه يُعاود التساؤل حول القضية اللانهائية: قضية المعنى الإنساني.

أهم المصادر والمراجع الواردة في البحث:

أولاً: المصادر الأجنبية:

– Friedrich Schleiermacher: Hermeneutics and Criticism and other Writings, Translated and Edited by: Andrew Bowie, Cambridge University Press, United Kingdom, 1998.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

– Greegg Lambert: Encyclopedia Of Postmodernism, Art " Hermeneutics ", General Editor: Victor E. Taylor and Charles E. Winquist, first published by Routledge, London and New York, 2001.

– Lisa Madeline Smith: Natural Science and Philosophical Hermeneutics: An exploration of Understanding in the Thought of Werner Heisenberg and Hans Georg Gadamer, National Library of Canada, 1997.

– Michael Inwood: Routledge Encyclopedia of Philosophy, Art"Hermeneutics"Genral Editor, Edward Craig, first ,Routledge, London and New York, 1998, P385 385

– Nicholas Davey: Unquiet Understanding Gadamer's Philosophical Hermeneatics, Suny Series in Contemporary Continental Philosophy, Dennis. J. Schmidt, editor, State University of New Yourk press, U.S.A, 2006.

ثالثاً: المصادر العربية:

– هانز جورج جادامير: الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة: حسن ناظم و على حاكم صالح، راجعة عن الألمانية: جورج كتورة، ط١، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ٢٠٠٧.

– .....: فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزين، ط٢، الناشرون: منشورات الإختلاف الجزائر، والمركز الثقافي العربي المغرب، والدار العربية للعلوم لبنان،٢٠٠٦.

رابعاً: المراجع العربية:

– دايفيد جاسبر: مقدمة في الهيرمينوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، بيروت والجزائر، ٢٠٠٧.

– صفاء عبد السلام جعفر: هيرمينوطيقا الأصل في العمل الفني دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة، دار كلمة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت.

– عادل مصطفى: فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧.

– لزهر عقيبي: جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكو، ط١، منشورات الاختلاف، ومنشورات ضفاف للطباعة والنشر، الجزائر ولبنان، ٢٠١٢.

– منى طلبة: الهيرمينوطيقا المصطلح والمفهوم، مجلة أوراق فلسفية، العدد ١٠، دار منظومة، ٢٠١٦.

خامساً: المعاجم والموسوعات العربية:

– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢

– عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج٢، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٠.

– مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.

سادساً: الرسائل العلمية:

– الهام بن حواس: إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية هانز جورج غادامير نموذجاً، رسالة ماجستير، إشراف: منير بهادي، كلية العلوم الإجتماعية قسم الفلسفة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٣/ ٢٠١٤.

سابعاً: المواقع الإلكترونية:

– Http// search. Mandumah.com/Record/ 625568.